

وكذلك أعثرنا عليهم

حقوق النشر

Copyright © [2023] [حسام الشرقاوي]

الطبعة الأولى 2023

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

لترجمة الكتاب أو طباعته يُرجى التواصل مع الناشر
«الأندلس جروب ليميتيد» على البريد الإلكتروني التالي:

publishing@alandalusgroup.co.uk

الترقيم الدولي: 978-1-7394058-0-9

الناشر:

Al-Andalus Group LTD

الأندلس جروب ليميتيد

لندن، المملكة المتحدة

www.alandalusgroup.co.uk

وكذلك أعتزنا عليهم

حسام الشرقاوي

إهداء

إلى القابضين على الجمر في زمان الفتن.

إلى أبي - رحمه الله - الذي علمني معنى الرجولة والفداء.

إلى أمي - حفظها الله - التي ضحت بكل شيء - ولا تزال - من أجل
إسعادنا.

إلى خالي الذي علمني حب الدين والانفتاح على جميع المسلمين.

إلى أبي بعد أبي حماتي العزيز، وأمي بعد أمي حماتي العزيزة،
وإلى كل أب فقد ولده أو غاب عنه لأي سبب من الأسباب.

إلى أخواتي وزوجتي وأبنائي الذين تحملوا معي سنين البلاء.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

هذه الخواطر التي بين أيديكم هي نفحات ربانية ألهمني الله ﷻ بها في لحظات كنت في أشد الحاجة إليها وإلى بركاتها، وهي في مجملها معاني جديدة وملائمة لم يسبق أن سمعتها أو قرأتها مع طول معاشتي ورحلتي مع كتاب الله حفظًا وتدبرًا وتفسيرًا ومعاشةً، مما أشعرتني أنها رسائل ربانية وصلت في أشد أوقات البلاء، وقد جعلها الله -سبحانه- نورًا لي على الدرب وتثبيتًا منه ﷻ على طريق الحق، وعونًا على نوائب الدهر.

وقد انتفعت بها أشد الانتفاع؛ حيث عاشرت ما عايش يوسف ﷺ في الجُب، وعانيت ما عانى يونس ﷺ في بطن الحوت؛ ولكنني كنت على يقين بأن الله -القوي العزيز- سيُنجيني بقدرته من الكربات ومن الظلمات، وقد كان، والله الفضل والمنة؛ فجعلت هذه الخواطر في خطبي وكلماتي، ووَصَلت بفضل الله إلى قلوب من سمعوها وتأثروا بها أبلغ التأثر، فرأيت أن أنشرها كي ينتفع بها عدد أكبر من المسلمين، وتستشعرها قلوب المؤمنين، لعلها تؤثر فيهم كما أثرت فيَّ وفيمن

سمعتها، فبدأت في كتابتها ولم يدُر في خَلْدي أن تصل إلى أن تكون كتابًا، فإذا هي تكثر المعاني تفيض، وبارك الله ﷻ فيها، ويفتح لي من فيوض عطاءاته حتى زادت عن حجم الكتاب، واحتجت إلى أن أجعلها على أجزاء، فرأيت أن أنشر الجزء الأول وأستعين بالله -العلي القدير- في تكملة باقي الأجزاء بعونه وتوفيقه وإلهامه.

فها أنا ذا أضع بين أيديكم الجزء الأول من هذه الخواطر القرآنية، وقد أسميته «وكذلك أعثرنا عليهم»، وأسأل الله ﷻ أن يرزقني الإخلاص، ويكتب لها القبول في الأمة، ويجعل هذا العمل وسائر عملي خالصًا لوجهه الكريم، ولا يجعل لأحد فيه معه شيئًا.

فما كان من خير فمن الله ﷻ، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان أو تقصير فمني ومن الشيطان، أعاذني الله وإياكم من وسوسته ونفته وكيده وهمزاته.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفقير إلى عفوريه

حسام الشرقاوي

13 ربيع الآخر 1444هـ

7 نوفمبر 2022م

المحتويات

11	وكذلك أعثرنا عليهم
23	فلولا أنه كان من المسبحين
33	أني مسني الضر
49	إذ جاء ربه بقلب سليم
63	أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ
81	ربي الذي يحيي ويميت
89	إني ذاهب إلى ربي سيهدين
105	ولكن ليطمئن قلبي
115	بوادٍ غير ذي زرع
125	فانظر ماذا ترى
137	إني جاعلك للناس إمامًا
153	ربنا تقبل منا
171	إن الله معنا
187	شكر خاص

وكذلك أعثرنا عليهم

الحمد لله قاهر الجبابرة، الذي ذلت له أعناق القياصرة، وزلزلت بقدرته عروش الأكاسرة، أمره بين الكاف والنون، إذا أراد شيئاً فإنها يقول له كن فيكون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قصة أصحاب الكهف من القصص القرآنية الملهمة التي طالما شغلتني؛ حيث أراها تجسد غربة الإسلام في كل زمان ومكان، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»⁽¹⁾، ويتجلى ذلك حين تسعى لإبراز دينك فتواجه بقوة غاشمة تضطرك إلى أن تلجأ إلى كهفك لتحتتمي به إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

أصحاب الكهف مجموعة من الفتية الذين دخل الإيمان في قلوبهم فأرادوا تبليغ الناس رسالة ربهم حتى يذوقوا معهم حلاوة الإيمان، وهم -كما وصفهم ربهم ﷺ في كتابه-: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

(1) أخرجه مسلم (145).

فحين تختار الإيمان بالله والسير في طريقه تأتي النفحة الربانية والزيادة في الهدى، والتي تعينك على تحمل المشاق في رحلتك إلى الله ﷻ، وهو ما يحتاجه حتى تكمل الطريق وتصل إلى رضوان الله ﷻ. وقال الله ﷻ عنهم في كتابه العزيز: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُو مِنْ دُونِهِ إِنَّهُ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14].

وكما ورد في تفسير ابن كثير: «يقول ﷻ: وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت، ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له «دقيانوس»، وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه. فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها، لا ينبغي إلا لله الذي خلق السماوات والأرض. فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية. فكان أول من جلس منهم [وحده] أحدهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، وجاء الآخر فجلس إليهما، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر، وجاء الآخر، وجاء الآخر، ولا يعرف واحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان،

كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقاً، من حديث يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

والناس يقولون: الجنسية علة الضم. والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتّم ما هو فيه عن أصحابه، خوفاً منهم، ولا يدري أنهم مثله، حتى قال أحدهم: تعلمون -والله يا قوم- إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم، إلا شيء فليظهر كل واحد منكم ما بأمره. فقال آخر: أما أنا فإني [والله] رأيت ما قومي عليه، فعرفت أنه باطل، وإنما الذي يستحق أن يعبد [وحده] ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق كل شيء السماوات والأرض وما بينهما. وقال الآخر: وأنا والله وقع لي كذلك. وقال الآخر كذلك، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة، فصاروا يداً واحدة وإخوان صدق، فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق، ودعوه إلى الله ﷻ؛ ولهذا أخبر الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً﴾، و«لن» لنفي التأييد، أي: لا يقع منا هذا أبداً؛ لأننا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً؛ ولهذا قال عنهم: ﴿لقد قلنا إذا شططا﴾ أي: باطلاً وكذباً وبهتاناً⁽¹⁾.

(1) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (ت 774 هـ).

فأمر الملك بحبسهم، فهربوا منه وفروا بدينهم، ولجأ الفتية إلى الكهف هرباً من الملك الظالم الذي أراد منعهم من ممارسة دينهم والدعوة إليه بين الناس، فأراد الله أن يضرب بهم المثل ويجعلهم للناس آية.

كانت خطة الفتية أن يختبئوا في الكهف لبعض الوقت حتى تهدأ الأمور ثم يعودوا إلى حياتهم وأهليهم ودعوتهم؛ ولكن الله ﷻ أراد غير ذلك؛ وفي هذا ملمح عظيم، أن تخطيطك يكون على قدرك، أما تدبير الله فيكون آية تتحدى قدرة البشر وتخطيطهم ومكرهم وسلطانهم وجبروتهم؛ لكي تتجلى عظمة الخالق وقدرته وتديبره للأمر، فأراد الله ﷻ أن يلبث الفتية في كهفهم ثلاثمائة سنة ويزدادوا تسعاً، بعد أن كانت خطتهم أن يمكثوا يوماً أو بعض يوم!

دخل الفتية إلى الكهف وكل أملهم أن ينجحوا في الهروب من الطاغية، وأن تتحسن الأحوال وتتغير الأوضاع حتى يخرجوا من سجنهم الاختياري إلى أرض الله الواسعة التي ضيقها عليهم الظلم والطغيان.

لم يتخيل أي منهم أن يمكث في الكهف ثلاثمائة عام!
لم يتصور أي منهم أن يموت كل ذويهم وأحبابهم ومعارفهم؛ بل ويموت الملك الظالم نفسه!

لم يعلموا أن الله ﷻ سيهيئ الأرض لاستقبال الرسالة ولحمل لواء الدين من بعدهم!

لم يعلموا أن الناس سيظلون على الإيمان الذي زرعه فيههم قبل دخولهم إلى الكهف!

لم يعلموا أن أعداد المؤمنين ستزيد ولن تنقص لفقدهم وغيابهم في كهفهم!

إياك أن تظن أن الدين سيتهى بغيابك، وإلا لكان انتهى بموت رسول الله ﷺ، الدين دين الله وهو حافظه إلى يوم القيامة، إذا استنفذت وسعك وبذلت كل الأسباب ولم يبق في جعبتك شيء، وأويت إلى الكهف تطلب من الله ﷻ أن يؤتيك من لدنه رحمة ويهيئ لك من أمرك رشداً فاعلم أن الله ناصر دينه، ومعز جنده، وهازم الأحزاب وحده!

تذكر وأنت تغيب داخل كهفك أن الله ﷻ لا يغيب، وأن الله ﷻ حي لا يموت، فتوكل عليه كما أمر عباده في سورة الفرقان: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 58].

دخل الفتية إلى الكهف فحفظ الله أجسادهم ثلاثمائة عام حتى استيقظوا وظنوا أنهم قد لبثوا يوماً أو بعض يوم! وأخذوا يتناقشون فيما بينهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19].

استيقظوا فوجدوا حالهم وحال كلبهم كما هو، فظنوا أنهم قد لبثوا يوماً أو بعض يوم وليس ثلاثمائة عام! فأرادوا أن يأكلوا ويروا أحوال المدينة، وكانت خطتهم أن يذهب أحدهم ليأتي بالطعام دون أن يشعر به أحد، ودون أن يحس به الملك أو جنوده، حتى لا يحدث ما لا يُحمد عقباه، وهو ما عبروا عنه في الآية التي تليها: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ [الكهف: 20].

إذا قدروا عليكم فسيكون عقابكم الرجم أو العودة إلى الكفر -والعياذ بالله- قهراً وغصباً، وسيكون ذلك هو الخسران المبين ولن يكون الفلاح أبداً.

الخطوة واضحة، والهدف واضح، ونتيجة أي خطأ معروفة ومحسومة.

ومرة أخرى يأتي الاختلاف بين التدبير البشري وتدبير المولى ﷻ، فنرى نتيجة ما حدث في الآية التي تليها: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ...﴾ [الكهف: 21].

مهلاً!

هل ما أراه صحيح!

هل قرأت هذه الآية بشكل سليم؟

يا إلهي!

نعم!

المولى ﷻ يقول: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾!

يا الله!

الله هو الذي جعلهم يعثرون عليهم!

هل تخيلت أن تعديل خطتك والحيد بها عن مسارها -وقد يكون فشلها- بعد أخذك بجميع أسباب النجاح هو تدبير من المولى ﷻ!

أيمكن أن يكون الفشل هو ما سيصل بك إلى النجاح!

أيكون الخير مما ظننته شرًا!

أيأتي النفع مما ظننته ضرًا!

أيأتي الله ﷻ بالنصر من قلب الهزيمة!

ما حدث أن خطتهم كانت التخفي والتلطف وعدم إظهار وكشف أمرهم، وكان تدبير الله ﷻ أن يكشف أمرهم وأن يعرفهم الناس وأن يعلموا بأمرهم!

إذا ما اضطربت بك الأحوال فاعلم أن الله ﷻ يدبر لك أمرًا خيرًا مما تدبره لنفسك!

إذا طال بك الليل فاعلم أن الفجر قد قرب بزوجه!

إذا فقدت ولدًا أو حبيبًا أو مالًا أو جاهًا أو وظيفة فاعلم أن الله ﷻ سيعوضك عنها خيرًا ما دمت خرجت جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته!

تُرى ما الحكمة من أن يعثر عليهم الناس بعد أن تخفوا وأخذوا بالأسباب وأووا إلى الكهف ولبثوا فيه ثلاثمائة عامًا ويزيد؟!
تُرى لم أراد الله ﷻ ألا تنجح خطتهم وأن ينكشف أمرهم وأن يُعلم شأنهم؟!

الإجابة التي نحتاج أن نتدبرها ونحفظها ونعلمها أبناءنا تأتي في
تكملة الآية الكريمة حيث يبلغنا ربنا ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ
لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾ [الكهف: 21].
يا الله!

أيمكن أن يكون ما أصابك من إبتلاء لتعلم أن وعد الله حق؟!
أيمكن فقدك لولد أو أخ أو والد أو حبيب لتعلم أن وعد الله
حق؟!

أيمكن فقدك لوظيفتك التي كانت تدر عليك المال الوفير، أو
تكفيك ذل السؤال وتغنيك عن الخلق، وتوفر احتياجاتك لتعلم أن
وعد الله حق؟!

أيمكن مصادرة أموالك وفقدان أملاكك وتجميد أرصدتك لتعلم
أن وعد الله حق؟!

أيمكن حبسك وتقييد حريتك ومنعك من ممارسة أعمالك وصحبة
أهلك وتربية أبنائك ومزاولة نشاطك والسير في طريق دعوتك لتعلم
أن وعد الله حق؟!

هذا ما أخبرنا به المولى ﷺ في محكم آياته، وهو ما نؤمن به ونصدقه
تصديقاً لا يخالطه شك؛ لأن الله ﷻ هو من أخبر به.

لكن فتش في نفسك، وابحث في قلبك، هل علمت أن وعد الله
حق حين نزلت بك المصيبة؟

هل علمت أن وعد الله حق حين فقدت حبيبك؟

هل علمت أن وعد الله حق حين فقدت مالك أو عملك أو حرية

حركتك؟

هل تثق في وعد الله؟!

هل توقن أن الآخرة خير وأبقى؟!

هل تشري الحياة الدنيا بالآخرة؟!

هل أنت من أبناء الدنيا أم من أبناء الآخرة؟!

وهذا يقودنا للجزء الأخير من الآية الذي سنقف عنده، والذي سيكشف لنا فيه المولى ﷺ عن حكمة أخرى من إثاره عليهم وكشف أمرهم للناس حين قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا...﴾ [الكهف: 21].

وأن الساعة لا ريب فيها!!!

كم من متكبر في الأرض لا يؤمن بيوم الحساب؟!

كم من ظالم يظن أنه لن يحاسب على ما اقترفت يده؟!

كم من ملك طغى وبغى دون أن يحسب أنه سيقف يوماً بين يدي

الله ﷻ؟!

كم من زوج ظلم زوجته دون أن يحسب للساعة أي حساب؟!

كم من سارق سرق ونهب واختلس دون أن يرتدع بأي عقاب؟!

كم من أمة علت في الأرض واستضعفت غيرها ونهبت ثرواتها

وامتصت خيراتها دون أن تفكر في زوال سلطانها ودائرة الأيام وأن

الساعة لا ريب فيها!

كم من حضارة قامت على الإيمان بأن هذه الدنيا هي مبتغى

الأحلام ومنتهى الآمال، وأنه لا حياة بعد الموت، وقالوا: «إن هي

إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين»! وبنوا حياتهم

على تحصيل كل ما يمكن دون وضع الساعة في حسابهم ولا يوم الحساب!

وهكذا، قد تبني حياتك على أساس وتكتشف أنه كان خطأ تمامًا! والمصيبة تكون أعظم حين يكون هذا البناء هو ما سيحدد خلودك في الجنة أو في النار - والعياذ بالله -!

هذا الاختيار هو ما سيحدد مصيرك في الآخرة، وهو ما يحدد هل نجحت في اختبار الدنيا أم لا!

آمن أصحاب الكهف بقضيتهم ووثقوا برهم وتوكلوا عليه، وأيقنوا أنهم منصورون وإن طالت السنون، وأن الله ﷻ منجز وعده ومظهر أمره وكاف عباده، مصداقًا لقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51].

فكانت النتيجة أن دبر الله ﷻ أمرهم وحفظهم ونصرهم، وخرجوا من الكهف ليجدوا الملك الظالم قد هلك، والناس قد آمنوا بالله وحده، وتم ما لم يكونوا يملكون بتحقيقه حين جاءتهم فكرة الدخول إلى الكهف، ولم يدر بخلدهم أن ينصر الله ﷻ دينهم وهم في سباتهم، وأن يهلك الله ﷻ عدوهم وهم في حبسهم!

كان تدبير الله ﷻ من الإعجاز الذي تعجز العقول عن تخيله!

كان تدبير الله ﷻ على قدر قدرته المطلقة التي لا تحدّها حدود!

كان تدبير الله ﷻ آية خالدة تروى في كتابه الكريم إلى أن يرث الله

الأرض وما عليها!

ثق بربك وبتدبيره وبنصره، وسر في طريقك إلى الله ﷻ، وجاهد في سبيل الله ﷻ بمالك ونفسك وكل ما آتاك الله ﷻ من قوة وعلم، وخذ بالأسباب؛ ولكن لا تركز إليها، وإياك أن تعتمد على عقلك أو جاهك أو مالك، وتوكل على الحي الذي لا يموت، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

دع الله ﷻ يدبر لك، واصبر على ما أصابك، وارض بما قسم الله لك، واعلم أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها!

